الصدر الأعظم سعيد حليم باشا ودوره العسكري والسياسي
(دراسة تأريخية)

مدرس دكتور
ساهرة حسين محمود
جامعة البصرة-كلية الآداب-قسم التأريخ
Dr. Sahira Hussein Mahmoud
University of Basra
College of Arts
Department of History

الملخص:

الحمد لله رب العالمين سابغُ النعمُ ، والشكر لله تعالى ذي الجود والكرم ، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين النبي الأكرم الخاتم الأمين محمد بن عبد الله " صلى اللهُ عليهِ وآله وسلم " ، الطيبين الطاهرين والأئمة الأخيار ، واللعن الدائم على أعدائهم أجمعين إلى قيام يوم الدين

الصدر الأعظم بالعثمانية هو صدر أعظم أو وزير أعظم وهو أعلى منصب بعد السلطان مع السلطة المطلقة له وهو الذي يحمل ختم السلطنة ، و تعيينه وعزله من حق السلطان فقط . وكانت جلسات الوزراء في الدولة العثمانية تنعقد بأمره للإطلاع على شؤون الدولة وكانوا يجتمعون في قصر الباب العالي وهو قصر طوب قابي ؛ ويوجد أيضا في الباب العالي جميع مكاتب الوزراء مع الصدر الأعظم .

وخلال المدة التي ظهرت فيها ظاهرة التغريب (العولمة الغربية) ، كان يجب على رجال الدولة العثمانية الموازنة بين الفكر الإسلامي ، التي تنص عليه مبادىء الدستور العثماني والفكر الإسلامي ، الذي تدين به الدولة العثمانية من جهة و مواجهة ظاهرة التغريب التي تزامنت مع ضعف الدولة ومواجهة الأزمات السياسة ، مع الضغوط التي كانت متواجدة من جهة أخرى. وكان من بين هؤلاء الرجال سعيد حليم باشا ، فإن فكره

كان يتبلور في إن الحضارة تتكون من عناصر مادية وروحية وقيم تتجه بها الأمة .أما بالنسبة للمجتمعات الإسلامية فإن الدين هو القوة الفاعلة التي توفر الإنتاج لهذه الحضارة ، وكذلك الإسلام هو أساس الحضارة والدين والهوية.

وقد نشأ عن هذا البحث المتواضع مقدمة ومحوران وخاتمة وهي:

المحور الأول : سعيد حليم باشا حياته الأجتماعية و العسكرية.

المحور الثاني : دوره في السياسية العثمانية.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يكون هذا البحث المتواضع ، معيناً للمهتمين بالتأريخ العثماني و التركي و أبرز شحصياتها المهمة .

ومن الله تعالى العون والسداد ...

الباحثة

الكلمات المفتاحية: الدولة العثمانية ، الصدر الأعظم ، سعيد حليم باشا

Abstract:

The Grand Vizier in the Ottoman Empire is the greatest minister, and he is the highest position after the Sultan with absolute authority, and he who bears the seal of the Sultanate, and his appointment and removal is the prerogative of the Sultan only. The sessions of the ministers in the Ottoman Empire were held according to his order to discuss the affairs of the state, and they were meting in the Topkapi Palace. Also in the Sublime Gate there are all the ministries' offices with the Grand Vizier.

During the period in which the phenomenon of Westernization appeared (Western globalization), the men of the Ottoman state had to balance Islamic thought, as stipulated in the principles of the Ottoman constitution and which the Ottoman state owes on the one hand, and to confront the phenomenon of Westernization that coincided with the weakness of the state and facing political crises, With the

pressures that were present on the other hand. And among these men was Saeed Halim Pasha, whose thought was crystallizing in the fact that civilization consists of material and spiritual elements and values by which the nation is heading. As for Islamic societies, religion is the active force that provides production for this civilization, and Islam is also the basis of civilization, religion and identity.

This humble research falls into an introduction, two axes and a conclusion, namely:

-The first axis: Said Halim Pasha, his social and military life.

-The second axis: his role in Ottoman politics.

key words: Ottoman Empire , The Grand Commander , Saeed Halim Pasha

المقدمة:-

شهدت الدولة العثمانية هزائم عده أمام إنتصارات الدول الأوربية ، فنشأت الفرضية القائلة بأنها تخلفت عن تلك المجتمعات ، وتم إجراء بحث وإصلاحات مختلفة كوسيلة للخروج من هذا الوضع، بخاصة أن القرن التاسع عشر للميلاد بأكمله وبدايات القرن العشرين للميلاد ، توافقت مع المدة الزمنية التي تركزت فيها حركات الأبتكار في الدولة العثمانية ، فظهر من يدعو الى إصلاح الدولة من خلال تبني النظم الأوربية الحديثة ، حيث كان لنجاح تلك الدول آنذاك في الأمور العسكرية ، وفي تطور أنظمتها الأقتصادية الأثر الكبير في تبني هذا الأتجاه ، بعدما أدرك بعض السلاطين ورجال السياسة المتنورين أن الإصلاح والأقتباس من هذه النظم هو الحل الذي سيوقف تدهور الدولة، ويعيد إليها حيويتها ونشاطها . ومن الشخصيات المهمة التي رافقت تلك التطورات ، هي شخصية سعيد حليم باشا الذي عاش في تلك المدة المضطربة . فهو شخص يلفت الأنتباه بهويته الفكرية وخصائصه كرجل دولة أتحادي . وهذه الدراسة عمل يضع الهوية الفكرية لسعيد حليم باشا في المقدمة ، وبعد الكشف عن تقييم سعيد حليم باشا لحركة التغريب العثمانية ورد الفعل عليها ، فهو يهدف إلى التركيز على الحلول .

خلال العقود الأخيرة من حكم الدولة العثمانية ، شغل سعيد حليم باشا منصبًا رفيعًا فيها ، كما تولى منصب رئيس لجنة الأتحاد والترقي ، و منصب الصدر الأعظم ، وبقلمه تطور فهم السيادة ونظام الحكم ، فهو مفكر إسلامي ، ووفقًا للعقلية الإسلامية ، أقترح أن يتم أنتخاب السلطات الفعالة للدولة ، بأستثناء السلطة التشريعية

(الهيئة التشريعية) ، وهي هيئة سن القوانين التشريعية ؛ في هذا الإطار ، يتم أنتخاب رئيس الدولة ومجل الأمة من قبل الشعب ، وعلى الرغم من وصولهم إلى السلطة عن طريق الأنتخاب ، لأنهم يمثلون قوة نابعة من الشريعة ، فإن السيادة في النهاية ليست ملكًا للشعب ، حيث يستمدون شرعيتهم من الإلتزام بالمبادئ الإسلامية ، وليس من الأمة. فهناك إرادة إلهية فوق إرادة الشعب ، ومن ثم فإن نهجه في السيادة يثير فهماً للسيادة الإقليمية. ويمكن القول إن سعيد حليم باشا ، قد طور أفكاره مثل أي مفكر استجابة لمشاكل عصره ، لما مر به من أحداث مهمة للغاية ونقاط التحول في التأريخ العثماني.

المحور الأول : سعيد حليم باشا حياته الأجتماعية و العسكرية

هو الباشا سعيد حليم حفيد والي مصر محمد علي باشا (١٨٠٥-١٨٤٨م) ، ووالده محمد عبد الحليم باشا ، أحد الأبناء الأربعة لمحمد علي باشا (١) . ووالدته وجدان خانم ، من مواليد عام١٨٦٤ م ، في مدينة القاهرة ، وبسبب المشاكل التي حدثت مع خديوي مصر إسماعيل باشا (١٨٦٣ – ١٨٧٩ م) ، تم حرمانه من أحقيتهُ في إستلام حكم مصر، فقد ترك مدينة القاهرة وأتجه إلى إسطنبول في عام ١٨٧٠ م . وقد درس اللغات العربية والفارسة والفرنسية والإنكليزية (٢) ، كما درس العلوم السياسية في جامعة لوزان في سويسرا وهناك بقى خمس سنوات ، وعند عودته إلى إسطنبول كان قد أتم الخمسة والعشرين عاماً ، ورغم صغر سنة فأنه قد عُين في دائرة أعضاء شورىء الدولة (٣) ، و تزوج في عام ١٨٩٥ م ، الأميرة أمينة أبنة طوسون باشا.(4)

كما أصبح عضوًا في مجلس الدولة برتبة (مير ميران) ورتبة (ميجودي) ، في عام ١٨٨٨ م ، وحصل على الرتبة العثمانية الثانية في عام ١٨٨٩ م ، والأولى في عام ١٨٩٢ م ، وفي عام ١٨٩٩ م ، حصل على وسام ميجودي . وفي عام ١٩٠٠ م ، تم منحه لقب (روميلي بيلاري) ،,وتم استبعاده من موظفي (مجلس الدولة) بسبب ضبط مواد خاص بالمعارضة في منزله في يني كوي من أسلحة وجرائد . و بسبب إنتماءه إلى حركة تركيا الفتاة وضع تحت مراقبة من قبل السلطان عبد الحميد الثاني (١٨٧٦-١٩٠٩ م) ، فهرب إلى مصر ثم إلى آوربا ، وعاد إلى إسطنبول بعد الإعلان الثاني للدستور في عام ١٩٠٨ م (٥) ،

وخلال المدة نفسها تم تعيينه في مكتب بلدية منطقة يني كوي ، و بعد أنتخابات البلدية العامة شغل منصب الرئاسة الثانية ، كما عين عضواً في مجلس الأعيان . وفي (٢٣ كانون الثاني/ يناير عام ١٩١٢ – ٢٣ تموز/ يوليو عام ١٩١٢ م) ، تم تسليمه رئاسة شورى مجلس الدولة (٦) . إلا أنه أنسحب من منصبه هذا في العام نفسه . في غضون ذلك أُنتخب أمينًا عامًا للجنة الأتحاد والترقي. وفي عهد الصدر الأعظم محمود شوكت باشا (١٨٥٦ – ١٩١٣ م) ، ثم عُيّن في مجلس رئاسة الدولة للمرة الثانية في عام ١٩١٣ م ، وبعد ثلاثة أيام عينُ في وزارة الخارجية . وبعد أستشهاد محمود شوكت باشا في ١١ حزيران / يونيو عام ١٩١٣ م ، حصل على رتبة وزير أول وفي اليوم التالي عُين وزير أعظم في (١٢حزيران / يونيو عام ١٩١٣ م) .(7)

وأعتقل سعيد حليم باشا في آذار/ مارس عام ١٩١٩ م ، مع بعض أعضاء حكومته أثناء إعلان حرب الأستقلال العثمانية . ثم تم الإفراج عنه ، ونفية إلى جزيرة مالطا ، مع أعضاء البرلمان الآخرون وفقًا للأتفاقية التي وقعتها حكومة أنقرة مع بريطانيا العظمى ، في ٢٣ تشرين الأول / أكتوبر عام ١٩٢١م . ومع ذلك لم يُسمح له بالعودة إلى إسطنبول فذهب إلى مدينة روما وأستقرهناك في أحد الفنادق . وفي مساء يوم ٦ كانون الأول / ديسمبر عام ١٩٢١ م (٨)، وعند وصله بالسيارة التي كانت تقله إلى باب الفندق الذي يقيم فيه ، هاجمته لجنة أرمينية تُدعى (أرسافير شيراسيان) وتم قتله بأطلاق النار عليهِ ، و إحضار جثته إلى قصره في منطقة يني كوي في مدينة إسطنبول ، وفي مراسم تشيع كبير عقدت في ٢٠ كانون الثاني/ يناير عام ١٩٢٢م ، تم دفنه في حديقة ضريح السلطان محمود الثاني (١٨٠٨–١٨٣٩ م) ، بجانب والده حليم باشا .(9)

كان سعيد باشا كثير القراءة ومن رجال الدولة الذين يمتلكون ثقافة واسعة ، مهذب وذو نفس تطوعية ، وشخصية مستقيمة ، و يد ممدودة لمساعدة المحتاجين ، ويدعم أصحاب الأعمال والصناعات ؛ وكان عازفاً على ألة العود مثل والده محمد عبد الحليم باشا (١٠) . يعد سعيد حليم باشا أحد الممثلين الأساسيين للفكر الإسلامي قبل مدة إنهيار الدولة العثمانية ، ومن الشخصيات المحافظة على هذا الفكر الإسلامي . وبالنسبة له يعتبر دخول الناس إلى الإسلام هو الأيمان بالإسلام والأخلاق ، ويؤمن بالحرية والمساواة ، وحمل الفكر الوطني والقومي ، والمحافظة على التمدن التركي والسيادة الوطنية ، ومبدأ سيادة الحقوق الإسلامية. (11)

لسعيد حليم باشا عدة مؤلفات قيمة ومنها :

تسبح ١٩١٠ م ، مقلدينا ١٩١١ م ، الدستور ١٩١١، الأزمة الأجتماعية ١٩١٦، الأزمة الفكرية ١٩١٧، التجربة الكلامية في مجال الأنحطاط الإسلامي. (12)

المحور الثاني : دوره في السياسية العثمانية

كان سعيد حليم باشا أحد السياسيين الذين بوجة السلطان عبد الحميد الثاني ، وقد شكل مع اسماعيل أنور باشا (١٨٨١ – ١٩٢٢ م) ، وجمال باشا (١٨٧٣– ١٩٢٢ م) ، ثلاثي المحور السياسي الرئيسي. وعند هروبه إلى أوربا رفض أن يكون تحت الحماية البريطانية والفرنسية . و قد أختير كعضو لتأسيس إدارة البنك المركزي التركي وأنضم كعضو أعيان في إجتماع جمعية الأتحاد والترقي في مدينة سلانيك ، كما أرسل من قبل الحكومة العثمانية إلى لوزان للتشاور في عملية الصلح مع إيطاليا بعد حرب طرابلس الغرب . و تم أختياره السكرتير العام لجمعية الأتحاد والترقي وأصبح رئيس مجلس الشورى في حكومة محمود شوكت باشا . لقد كان سعيد حليم باشا أحد المؤسسين للجمعية الوطنية للدفاع . و أسس المحكمة العرفية الحربية (١٣) . هذا وقد أصدرت حكومة سعيد باشا قراراً في ١٣ تموز/ يوليو ١٩١٣ م ، يقضي بالمقاومة العسكرية التامة لاجل إسترجاع منطقة إدرنة ، وبعد أسترجاعه المنطقة تم تكريمه من قبل السلطان بوسام التميز . هذا فضلاً عن تكريمه من قبل أمبراطور المانيا وإمبراطور النمسا – المجر بوساميين . وأعطى سعيد حليم باشا مذكرة شفوية إلى لندن وباريس حول هذا الشرط لأجل معاهدة سلام لندن ، وعندما رفضت باريس ولندن ذلك ، قررت حكومته بأن يكون التفاوض مع بلغاريا بدون وسيط ، مما أثار غضب بريطانيا العظمى وفرنسا . وفي ١٩١٣/١٢/٢٩م ، قام سعيد حليم باشا بالتوقيع على معاهدة إسطنبول مع بلغاريا . (14)

خلال بداية الحرب العالمية الأولى عام ١٩١٤ م ، كان سعيد حليم باشا يشغل منصب صدراً اعظم . هذا وقد قام في ٢ آب /أغسطس عام ١٩١٤م ، بالتوقيع على معاهدة مع المانيا وهذ الإتفاقية الدفاعية المشتركة كانت ضد روسيا القيصرية ؛ كما قام بالمحاولة لتوقيع أتفاقيات مع الدول الآخرى . وعندما أردت السفن الحربية الروسية العبور عبر المياه التركية أعطى قراراً بشراءها في حالة مرورها ، وأن الدولة العثمانية تعلن نفسها طرف محايد . وعلى أثر تم تهديد دول الحلفاء للدولة العثمانية بسبب حيادها . أجتمعت حكومة سعيد

حليم باشا بتأريخ ١١ تشرين الثاني /نوفمبر عام ١٩١٤ م ، وقرروا الغاء الإمتيازات الممنوحة للدول الأوربية(١٥). ومقابل ذلك أعلنت كل من روسيا القيصرية في ٢ آب/ أغسطس عام ١٩١٤ م ، وبريطانيا العظمى وفرنسا بتأريخ ٥ آب / أغسطس١٩١٤ م ، الحرب على الدولة العثمانية ، فأن حكومة سعيد حليم باشا أعطت القرار بأعلان الجهاد عليهم بتأريخ ١١تشرين الثاني / نوفمبر عام ١٩١٤ م . فتم أعلان فتوى الجهاد في ٢٣ تشرين الثاني /نوفمبر بخمسة لغات (التركية ، الفارسية ، التتارية ، العربية ، والأردية). كما قد قام المجلس العلمي الأعلى المتكون من تسعة وعشرون شخصاً ، بتحضير إعلان الجهاد الأكبر و نشروه بهذه اللغات الخمسة (١٦) ، وطبع الملايين من النسخ وتوزيعها على الإقاليم التي يعيشها فيها المسلمين . هذا وقد دعم فتوى الجهاد تلك رجل الدين المصري العالم عبد العزيز جافيش واعلن ببيان بدعم فتوى الجهاد ؛ كما قد تم دعم الفتوى من قبل علماء النجف الأشرف التي تمثل الجناح الإسلامي الشيعي ببيان باللغة الفارسية. (17)

وقد حاربت الدولة العثمانية العليا في خمسة جبهات ، و لم تكن موفقة في ثلاثة منها وهي : (قفقاسيا والقناة وفلسطين) ، لكنها أثبتت التفوق في جبهة جاناق قلعة وعلى الجبهة العراقية فقد سجلت الأنتصارات في كوت العمارة . كما قامت حكومة سعيد حليم باشا بنقل الآرمن واسكانهم في مناطق آخرى ، ومع إنشغال الدولة العثمانية في الحرب العالمية الثانية ؛ فأن الأرمن قد قاموا بالهروب من المناطق الموجودين فيها والبدء بضرب الجيش من الخلف وقتل الناس والتجسس لصالح الحلفاء (١٨) . هذا وقد بعثت حكومة سعيد حليم باشا بأخطار تنبيه إلى أعضاء المنظمات الأرمنية وإلى النواب الأرمن ، بأنه سوف يتم أتخاذ الأجراءات مقبل ذلك ، إلا أن هذا لم يجدي نفعاً ، بل إزدادوا بأفعالهم الدموية ، وفي ٢٤ تموز/يوليو عام ١٩١٥ م، أغلق طلعت باشا (١٨٧٤ – ١٩٢١م) ، وزير الداخلية حينها المراكز الأرمنية ووضع اليد على الأوراق الخاصة بهم ، وإصدار مذكرات الأعتقال بحقهم . و في ٢٦ مايس/ مايو عام ١٩١٥ م ، قدم طلعت باشا مذكرة إلى مجلس الوزراء بنقل الأرمن وإسكانهم في مكاناً آخر . وعليه تمت الموافقة في أجتماع مجلس الوزراء بتأريخ ٣٠ مايس / مايو عام ١٩١٥ م (١٩) ، لكنهم حاولوا تشويه صورة سعيد حليم باشا ، و نسبوا إليه وإلى طلعت باشا عمليات القتل والأبادة الجماعية ، وتم إغتيالهما في أوربا من قبل المنظمات الأرهابية الأرمنية . وقد كان

يعقوب جميل يحاول إسقاط حكومة سعيد حليم باشا ، إلا أنه تم كشف المؤامرة التي كان يسير عليها ، و القاء القبض عليه وإعدامه بتأريخ ١١ أيلول / سبتمبر عام ١٩١٦ م . (20)

بعد إستقالة سعيد حليم باشا من منصب الصدر الأعظم ، أستمر في وظيفته في مجلس الأعيان ، وإختير أحد الأعضاء العموميين للأتحاد والترقي في مؤتمرهم عام ١٩١٧ م ؛ بعد معاهدة موندروس هرب طلعت باشا وجمال وأنور باشا إلى خارج البلاد . هذا وقد أقترح السطان محمد السادس وحيد الدين (١٩١٨-١٩٢٢ م) ، خروج سعيد حليم باشا واخاه عباس حليم باشا من البلاد ، إلا سعيد حليم باشا رفض هذا الإقتراح (٢١) . وبتأريخ ٤ تشرين الثاني / نوفمبر تم تبليغ الديوان الأعلى حول مسؤولية سعيد حليم باشا في أحداث حرب الأرمن وأبادتهم الجماعية ، وتم القاء القبض عليه ومحاكمته بتأريخ ١٠ آذار/ مارس عام ١٩١٩ م ، من قبل الديوان الحربي العرفي . وفي ٢٨ مايس / مايو عام ١٩١٩م ، تم وقوع سعيد حليم باشا أسيراً بيد البريطانيين بعد دخولهم منطقة مالطا ، وأتفقوا على محاكمته بتهمة الأبادة العرقية هو ومعه رفاقه الذين قاربَ عددهم ١٤٤ شخصاً ، إلا أنهم لم يجدوا دليلاً على هذه التهمة ، فأطلق سراحه بتاريخ٢٩ نيسان /أبريل عام١٩٢١ م (22) .

الخاتمة

نستنتج بعد قراءة هذه السيرة التأريخية لهذه الشخصية (١٨٦٥ – ١٩٢١م) ، التي وضعت بصماتها في التأريخ التركي والعالمي ، بأن أصولها والتربية التي تلقتها ، هي التي رسمت شخصيته و مسار حياته ، المتضمن الجوانب الأجتماعية والوظيفية بسبب عراقة نسبه ورجعوه إلى العائلة الملكية التي حكمت مصر. وتنقُّله بين المعارضة للسلطان عبد الحميد الثاني والسلطة الدستورية، وصولاً إلى منصب الصدر الأعظم خلال الأعوام(١٩١٣-١٩١٧ م).

فقد أثر ذلك في تعليمه وأنطباعاته التي تركها خلال دراسته ، بسبب تعليمه العالي في مجال العلوم السياسية ، مما صقل موهبته الوظيفية بشكل عام ومهاراته السياسية ، التي أستطاع بواسطتها الأستمرار في مجال العمل السياسي والخوض فيه والأنتصار . ونرى أنه في بداية حياته الوظيفة ورغم صغر سنه تم وضعه في مجلس شورى الدولة ، وتقلد المناصب الوظيفية حتى وصوله إلى منصب الصدر الأعظم ، وهو المنصب